البابا شنوده الثالث

حياة الشكر

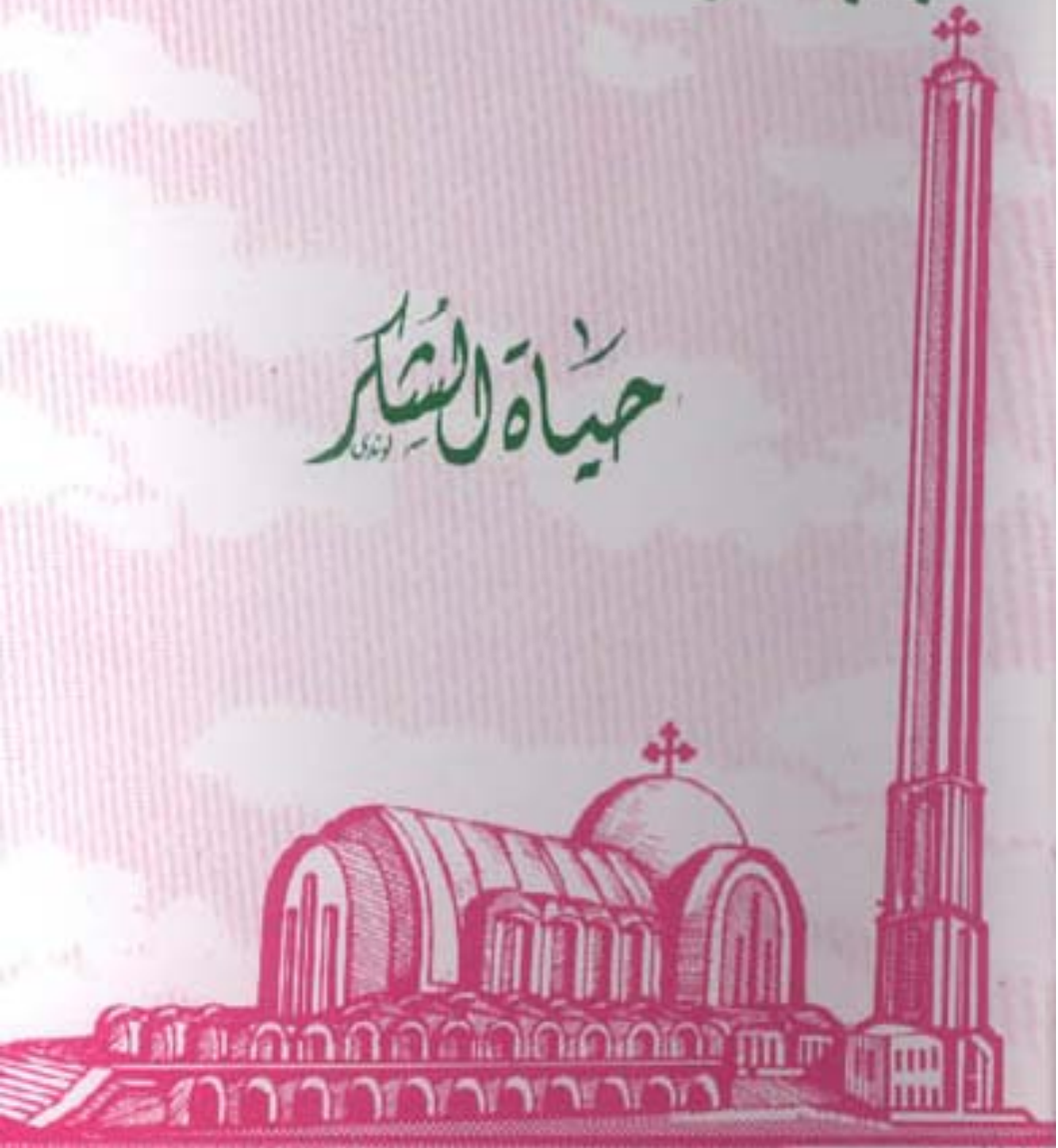

صاحبة صاحب القداسة والغبطة

البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقدمة

تحوى هذه النبذة احدى محاضرات قداسة البابا المعظم الانبا شنودة الثالث التى القاها — واربعا اخرى غيرها — بالمؤتمر الاول لخدام التربية الكنسية بالاسكندرية عام ١٩٦٨ بكنيسة القديس مارمينا بالمنـــدرة — وكان قداسته عندئذ أسقفا للتعليم — وقد سبق لمكتبة كنيسة السيدة العذراء بمحرم بك أن طبعت المحاضرات الخمس المذكورة طبعـــة اولى عام ١٩٧١ — وهو اول عام لتبوأ قداسته السدة الرسولية .

ولقد نفذت الطبعة الاولى لتلك المحاضرات وازاء الالحاح فى طلبها رأينا ان نقوم باعادة طبعها واحـــدة بعد الاخرى وها نحن نقدم الطبعة الثانية لهذه المحاضرة عن

حيـــاة الشكر

راجين الـــرب أن يجعلها لخير القـــراء ولبركة حيـــاتهم وشركتهم فى الـــرب . ببركة صلوات قداسة البـــابا المعظم الانبا شنودة الثالث اطال الله حيـــاته ورئاسته للكنيســـة سنين عديدة وأزمنة سالمة مديدة — آمين .

الكنيســـة

حياة الشكر

حياة الشكر والايمان :

ان حياة الشكر مرتبطة بأمور أخرى تسبقها وتندمج معها .. فحياة الشكر تلزمها حياة الايمان ، الايمان بالله فى صفات معينة بدونها لا يمكن أن نصل الى حياة الشكر .. فلابد أن تؤمن أولا أن الله **صانع للخيرات** ، وثانيا أنه **محب البشر** . فالله لابد أن يصنع خيرا — لا يستطيع أن يصنع الا الخير — وهو باستمرار يصنع خيرا معك ومع باقى الناس . ولابد أن تؤمن ثالثا أن الله **قادر على كل شىء** — هو يحبك ويريد أن يصنع معك خيرا ، وهو قادر على صنع الخير .. هذه الصفات الثلاث تجعلك تثق بأن الله يصنع دائما خيرا .

وهنا تقابلنا مشكلة وهى أن الله مع أنه يصنع الخير ، الا أنه أعطى حرية للناس ، والناس قد يصنعون شرا .. فربما يأتيك الشر من الناس فاعلى الاثم وليس من الله . وهنا لابد أن تؤمن رابعا أنه توجد صفة أخرى لله تضعها الى جوار هذا فتستريح وهى صفة الله **كضابط الكل** ،

يرقب كل أحد .. فالحرية التى أعطاها للناس لا تعنى أنه تخلى عن ادارته للكون ، وترك كل انسان يفعل ما يريد . انما الله يعطى الحرية ويرقب ويقـــود ويلاحظ كل شىء ، ويغير ما يحتاج الى تغيير ، ويمنـــع ما يراه ضارا .. هو ضابط الكل . هذه الصفة تريحك من جهـــة حرية الناس وحرية الشياطين وأيضا حريتـــك الشخصية .. لان الشر الذى يأتيك ربما يكون صادرا عن حرية الناس الاشرار أو عن حريتك الشخصية التى بها تضر ذاتك ، أو عن محاربة الشياطين .. والله ضابط الكل يتدخـــل فى كل هذه الامور وينفذ مشيئته الصالحة الطوباوية . فالله لا يمنح الحـــرية مطلقة .. والا هلك العالم . حتى الشياطين الاشرار الذين هم بطبيعتهم الملائكية الروحية لهم قوة تفوق الطبيعة ، الا انهم ليسوا أحرارا فيما يعملون .. ففى قصة ايوب مثـــلا نلاحظ أن الشـــيطان كانت حـــريته محدودة . كان يقترح أمورا ، والله يســـمح له أو لا يسمح ، ويضـــع له حدودا وقيودا معينة .. قال له أولا هوذا كل ما لايوب فى يدك وانما اليه لا تمد يدك (أى ١ : ١٢) . وفى المرة الثانية سمح له أن يمد يده الى جسد أيوب دون عقـــله أو نفسه .. حتى الشيطان ، يحدد له الله عمله ويقيـــده ولا يترك له الحرية المطلقة .. فلهذا اطمئن ، لان الله صانع الخيرات ، محب البشر ، ضابط الكل ، يرعاك ويهتم بك ولا يسمح أن يأتيك ما يضرك . وان آمنت بهذا لابد أن تشكره على عنايته .

الشر وصانع الخيرات

وهل نشكر الله على الشرور التى يسمح بها ؟ .. طبعا نشكره . نحن نشكر الله على كل حال ومن أجل كل حال وفى كل حال . اشكر الله الذى يستطيع أن يحول الشر الى خير .. بعين الايمان أنظر الى هذه المتاعب فى ضوء تدخل الله وتحويله لها الى الخير .. واليك المثل :

يوسف الصديق : فعل به اخوته شرا ، باعوه كعبد .. ولكن الله الذى يخرج من الجافى حلاوة ، استطاع أن يحول هذا الشر الى خير . لذلك قال يوسف لاخوته أخيرا « أنتم قصدتم بى شرا والله قصد به خيرا » تك ٥٠ : ٢٠ . امرأة فوطيفار الشريرة أرادت بيوسف شرا ، ولفقت له تهمة كاذبة ألقت به فى السجن .. ومع ذلك فالله حول هذا الشر الى خير بالنسبة ليوسف شخصيا ولارض مصر والعالم كله ..! لان يوسف كان سبب بركه لمصر فى المجاعة وللعالم المحيط بها الذى أنتفع من تدبير يوسف لها . فلو آمنت بالله أنه يحول الشر الى خير ستعيش فى حياة شكر كامل ، على كل ما يحل بك . لذلك لا تتعب أبدا .. ان كان الذى يحدث لك خيرا فى ذاته ، فسيصلك هذا الخير . وان كان شرا ، فان ضابط الكل سيقابله فى الطريق ويحوله الى خير ليصلك خيرا .

الصبر وحياة الشـــكر

انا بحياة الايمان نرتـــاح ونشكر الله على كل أعمـــاله الصالحة معنـــا . والى جوار هذا لابد أن تكون صـــبورا وطويل الاناة .. لان هناك أعمالا تتحول الى خـــير فى مدى زمن طويل يحتاج منك صبرا . ففى قصة يوسف الصديق : بيعه كعبد لم يتحول الى خـــير فى نفس السنة . القاؤه فى السجن لم يتحول الى خير فى نفس السنة .. ولكن بالمدى الزمنى وبمرور الوقت رأينا الخير الذى نتـــج عن ذلك . فعليك أن تكون طويل الاناة واثقـــا فى حكمة الله ورحمتـــه وتدخله فى الوقت المناسب بالطريقة المناسبة .

الاهواء الشخصية وحياة الشـــكر

من الامور المهمـــة فى شـــعور الانسان بالخـــير وبالشر وما يترتب عليه من شكر أو تذمر ، رغباتنا الداخلية ونوع تقييمنا للامور .. كتب القديس يوحنـــا ذهبى الفم مقـــالا جميلا عنوانه « لا يستطيع أحد أن يضر انســـانا ما لم يضر هذا الانسان نفسه » .. بدون فهم هذا الموضوع لا تستطيع الوصول الى حيـــاة الشكر . ما الذى يســـتطيع انسان ـــ أو حتى شـــيطان ـــ أن يضرك به .. ؟ لو كنـــت أنت انسانا قديسا ، صالحا ، بارا ، تحب الله .. سيكون لك هدف واحد فقط هو الالتصاق بالله ورغبتـــك هى فقط فى

ملكوت السموات . وهذا لا يستطيع أحد أن يضرك فيه . اما اذا جعلت لنفسك أهدافا ورغبات أخـــرى أضفتها الى الله .. فهذه هى التى تضرك . قلبك من الداخل ـــ المحب لهذه الرغبـــات ـــ هو الذى يضرك وليس الناس . قـــد يستطيع أحد أن يأخذ منك مالا ، فاذا كنت لا تهتم بالمال فى كثرته أو قلته فلا تضر . قد يستطيع أحـــد أن يزج بك فى السجن ، فاذا كنت لا تهتم الا بحرية ضميرك وفكرك وقلبك فى علاقتك مع الله ، ولا تهتم بالمكان الذى يعيش فيـــه ولا بالحالة الارضية ، عند ذلك سوف لا تشعر بضرر . فبولس الرسول كان فى أعماق السجن وكان يرتل بفـــرح .. ماذا يصنع بك الناس من الخارج ؟ أيقتلونك ؟ وماذا يضرك هذا ان كان لا هدف لك سوى الحياة مع المسيح ؟! .. الشهداء عذبوا وقتلوا ، ولم يشعروا أنهم قـــد أصيبوا بضرر ، لان الضرر الوحيد هو الانفصـــال عن الله وهذا يتعلق بالقلب من الداخل وليس بالناس .. يوسف الصديق صـــار عبدا ولم يتعب ، لان الحرية لم تكن هى هدفه ، وكذلك السجن لم يفصله عن الله .. الضرر الوحيد هو انفصالك عن الله ، وهو لا يأتى الا بانحراف ارادتك الشخصية نحـــو الشر ، وتكون انت الذى آذيت نفسك وليس انسان آخر .

التجارب وحياة الشكر

قد يفقد الناس حياة الشكر عندما يقعون فى احزان ومتاعب متنوعة . أما رجال الله القديسون الذين لا تتعبهم كل هذه الامور ، ولا يتعبهم الا الانفصال عن الله ، فكل ضيقات العالم لا تتعبهم . هم يعيشون فى شكر دائم فى كل حال ، فى الفقر وفى الغنى ، فى السعة وفى الضيق ، فى المرض وفى الصحة ، فى الموت وفى الحياة .. دائما يشكرون لان الهدف الوحيد وهو الالتصاق بالله ، لم يفقدوه فى كل هذه الحالات . لذلك هم فرحون متهللون شاكرون . لو ضاع منى كل شىء وبقى لى الله وحده ، فانا معى كل شىء ، لان الله هو الكل فى الكل ، فما الذى يحزننى ؟ .. يقول بولس الرسول «لذلك أسر بالضعفات» ٢ كو ١٢ : ١٠ .. لماذا ؟ لان الضيقات تقربنى الى الله أكثر ، وتجلب لى أكاليل أكثر .. فما الذى يحزننى ؟ أشكر الله على كل حال .. فى الصحة وفى المرض .. ولماذا أشكر الله فى المرض ؟ لانه ليس شرا فى ذاته « لعازر المسكين المذكور فى قصة « الغنى ولعازر » كان مثقلا بالامراض ، وكانت عنده قروح كثيرة والكلاب تلحس هذه القروح .. لكن هذا كله لم يكن شرا فى ذاته ولم يفصله عن الله ، بل على العكس كان للفائدة . فعندما اتكأ فى

أحضان ابراهيم ، قدم عنه تقريرا أنه « استوفى بلاياه على الارض لذلك هو يتعزى » لو ١٦ : ٢٥ . هكذا فلتشكر الله فى المرض لانك قد تستوفى به البلابا وتأخذ نصيب لعازر المسكين .

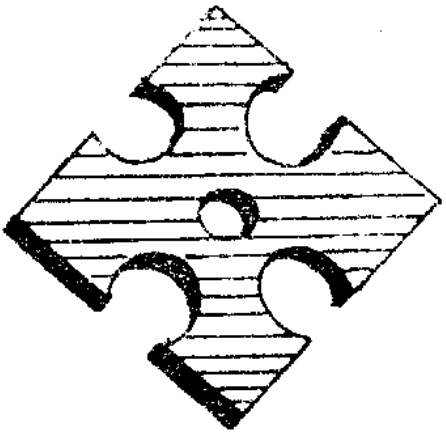

لا نعلم ما نصلى لاجـله

قـال القديس باسيليوس الكبـير « وان كنت مريضـا لا تطلب من الله صحة ، لانك لا تعرف ما هو المفيد لك ـ الصحة أم المرض » . طبعـا نحن بضعفنا البشرى نطلب الصحة لكننا لا نعرف روحيا ما هو المفيد .. ربمـا يتعبنى المرض على الارض لكنه يضمن لى ملكوت السموات اذا كان استغلالى له حسنا . من المعروف عن المهاتما غاندى أنه كان يكره الطب والمستشفيات ـ لا نريد مناقشة الرأى كله وانما نعرض فقط وجهة نظر غاندى فى المستشفيات . انها تعطى الانسان صحة جسدية ربمـا يغضب بها الله .. وربمـا ينهمك بها فى الشر ويخسر الله ! . ولذلك كان غاندى يهتم بالعلاج الروحى والنفسى أكثر من العلاج الجسدى . مامعنى أن شابا مريضا يعطى صحة يستغلها فى الزنى والفسق !. ما معنى أن انسانا شريرا يعطى صحة يستغلها فى الظـلم والسرقة والفساد ! .. هل كانت هذه الصحة للفـائدة أم للضرر ؟ فالمهم اذن الصحة الروحية . حكى فى بستان الرهبان عن أحد الرجـال الاثرياء النبـلاء أن كانت له ابنـة وحيدة مريضة مشرفة على الموت ، فطلب من احـد القديسين أن يصلى من أجلها لتشفى . فحاول القديس أن يعتذر بشتى الطرق ، ولكن الرجل ألح عليه ، فصلى القديس وعاشت

الفتاة . الا أنها سلكت فى سيرة شريرة أضاعت بها كرامة أبيها ، لدرجة أنه عـــاد الى القديس وقال له « صل لكى يأخذ الله الفتاة » .. فأجابه «أنت طلبت مشيئتك الخاصة» نحن لا نعرف يا اخوتى ما هو المفيد لنـــا . ومع ذلك كثيرا ما نطلب الصحة ، ولا يكون طلبنا هذا خاطئـــا ، ولكن لو تمســـكنا به نخطىء . بولس الرســـول أعطى شـــوكة فى الجسد لئلا يرتفع من فرط الاعلانات . وقد طلب الى الله أن يفارقه هذا المرض اذ قـــال : « الى الله تضرعت ثلاث مرات أن يفارقنى » ٢ كو ١٢ : ٨ . ولكنه لم يستجب . !! رفض الله صلاة بولس الرسول قائلا : « تكفيك نعمتى » ٢ كو ١٢ : ٩ . فالمرض كان صالحا له .

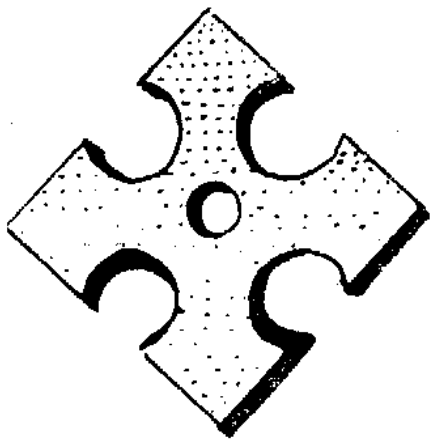

الاردة البشرية والتدبير الالهى

ان مشكلتنا فى حياة الشكر هى أننا نريد أن ندبر أمورنا بعقليتنا وطريقتنا الخاصة — فاذا لم نعط طلباتنا نغضب . وقد لا نغضب ولكن أيضا لا نشكر وهناك فرق بين انسان شاكر وبين انسان غاضب . فاذا شكرنا الله فمعنى ذلك أننا نرى الخير فى كل عمل الرب معنا .

واذا كان الله يقول فى كتابه المقدس : من يعرف أن يعمل حسنا ولا يعمل فذلك خطية له (يع ٤ : ١٧) فبالحرى — يعمل هو الخير اذ باستطاعته أن يعمل — وبالضرورة لابد أن أؤمن بأن الله يصنع خيرا معى وهو فعلا يصنع ذلك.

ولماذا اذن تنتابنى أتعاب — كل ذلك بسبب ارادتى أنا المنحرفة . لان الله يصنع دائما معى خيرا ، لكنه لا يرى من الخير أنه يسلبنى هذه الارادة التى بها أضر نفسى أحيانا . أما هو فينبغى أن أشكره فى كل حين .. ان كانت حالتى سيئة ، فكان ممكنا أن تكون أسوأ لو تخلت عنى نعمة الله . الله يصنع معى خيرا ، ولكننى لا أصنع خيرا مع نفسى ، فينبغى أن أشكر الله وألوم نفسى .. ولنطرق بعض نواحى تفصيلية .

لماذا أشكر الله .. !!

لعل من أجمل القطع الروحية التى سمعتها وقرأتها فى حياتى فى نواحى الشكر هى القطعة الموجودة فى القداس « الغريغورى » وأولها « قدوس قدوس أنت أيها الرب وقدوس فى كل شيء » التى يبدأ فيها الكاهن نيابة عن الشعب فى شكر الله على كل شيء اذ يقول .. « خلقتنى انسانا كمحب البشر ولم تكن أنت محتاجا الى عبوديتى بل انا المحتاج الى ربوبيتك . من أجل تعطفاتك الجزيلة كونتنى إذ لم أكن . أقمت السماء لى سقفا وثبت لى الارض لامشى عليها . من أجلى ألجمت البحر . من أجلى أظهرت طبيعة الحيوان . اخضعت كل شيء تحت قدمى . لم تدعنى معوزا شيئا من أعمال كرامتك .. الخ » .

ومن هذه القطعة نستطيع أن نتأمل بركات :

١ ــ **أشكر الله لانه خلقك** : من منا يشكر الله لانه خلقه وأنعم عليه بالوجود ؟ توجد أشياء كثيرة ننساها ، ليتنا نتذكرها .. هل تشكر الله لانه أوجدك ؟ كان ممكنا الا تخلق على الارض . الله لم يكن مطالبا بأن يزيد العالم واحدا .! كان ممكنا أن تكون والدتك عاقرا ولا تلد بنين ، وكثير من النساء عواقر . ان مجرد ولادتك نعمة عظيمة من الله اذ

يقول فى المزمور : « البنون ميراث من الرب » وكان ممكنا الا يعطى والدك هذا الميراث ، أو أن ينجبا اخوتك فقط ولا ينجبك أنت بالذات .

٢ ــ **أشكر الله لانه خلقك فى اليوم السادس** : الله قبل أن يخلقك صنع من أجلك أشياء كثيرة .. نحن نشكر الله ليس لانه خلقنا فقط ، بل أيضا لانه خلقنا فى اليوم السادس .. لماذا لانه أعد كل شىء لراحتنا قبل أن يخلقنا . لذلك نقول فى القداس « أقمت السماء لى سقفا وثبت لى الارض لامشى عليها . من أجلى ألجمت البحر ! من أجلى أظهرت طبيعة الحيوان ، أخضعت كل شىء تحت قدمى » فالله أعد كل شىء قبل أن يخلق الانسان : خلق السماء وزينها بالشمس والقمر والكواكب وخلق النور ، خلق الارض والنبات والحيوان .. خلق الانسان بعد أن أعد له كل نواحى الراحة، وبعد أن ضبط القوانين الطبيعية سواء قوانين الفلك والسماء أو القوانين الارضية من جهة الامطار والرياح والحرارة والرطوبة .. الخ . بعد أن دبر كل شىء خلق الانسان .. أشكر الله من أجل المواهب الانسانية التى اعطاك اياها .. الذكاء والعقل والنطق والمشاعر والحواس .. من أجل كل الاشياء الطبيعية التى كثيرا ما ننساها عندما نشكر الله .

٣ ــ **أشكره لانه خلقك مسيحيا** : أشكر الله أيضا لانه جعلك تولد مسيحيا فان كثيرين يشتهون هذا الايمان ولا يجدونه . بل ويتعبون من أجله كثيرا ، ولا يستطيعون الوصول اليه ، اذ تقف أمامهم كثير من المشاكل العقائدية والمتاعب والمشاكل الاجتماعية وغير الاجتماعية .. أما أنت فوجدت فى هذا الايمان وفى هذه العقيدة ..!! أشكر الله على هذا .

٤ ــ أشكره لانه وهبك الصحة والحواس وجميع الاعضاء: أشكر الله أيضا على الصحة التى أنت فيها ، من منا يشكر الله لانه يبصر ؟ لكن اذا تعبت عيناك وبدأت تعالجهما ، تبدأ فى الشعور بنعمة البصر التى لم تشكر الله عليها من قبل . انا لا أبدأ أشكر الله على رجلى التى أسير بهما حسنا الا بعد أن تبدءا فى التعب وابتدىء أحتاج الى عصا استند اليها ..!! انت لم تشكر الله لان معدتك تهضم الطعام جيدا ، ولكن اذا حدث لها تعب أو نقص فى العصارات ! أو اصبت بقرحة فى المعدة .. حينذاك تبدأ تشعر أنك كنت فى نعمة لم تشكر عليها ..! صدق الحكيم فى قوله « الصحة تاج فوق رؤوس الاصحاء لا يعرفه الا المرضى » نحن لا نحس قيمة الشىء الذى عندنا الا عندما

نفقده ، فنندم لاننا لم نشكر عليه .. كثير من الناس يشتهون الوضع الذى أنت فيه ولا يجدونه . فاشكر الرب.

٥ ــ أشكره لانه يعطيك فرصة الحياة من أجل التوبة :

أشكر الله لانك لازلت فى الحياة .. قال أحد الكتاب كلمة تستحق التسجيل « ان ملايين الملايين من الذين فى الجحيم يشتهون ساعة من حياتك أنت على الارض » .. على الاقل يتوبون فيها ، يقدمون لله اعترافا وانسحاقا ويكسبون ملكوت السموات .. أما أنت فعندك حياة طويلة لا تشكر عليها . ولو حلت بك سكته قلبية تقول يارب دقيقة واحدة فقط أشكرك عليها ، دقيقة واحدة أتوب فيها .. لا توجد . ضاعت الفرصة وعندما تذهب الى الجحيم تقول لو كان اعطانى الله دقيقة أقول فيها عبارة العشار .. ولو أقول عبارة اللص اليمين .. ولو أقدم توبته ..!! ملايين الملايين من الذين فى الجحيم يشتهون دقيقة واحدة من عمرك ، ولا يجدون . لو أن الله أخذ منك الروح الان ، الا تشتهى هذه الدقائق ، وتتمنى لو أعطاك الله نصف ساعة فقط ! وتقول أعترف فيها بكل شىء بالتفصيل حتى بالذى أخجل منه ، حتى بما لا يقال ، حتى بما يقف على لسانى .. أقوله بدون حرج وآخذ عنه حلا .. لو أعطانى الله نصف ساعة أتصالح فيها مع من أخاصمهم ، وأعتذر لهم ، وأقدم لهم مائة مطانية (سجود) تحت أرجلهم ، حتى لو كانوا هم المخطئين ...

نصف ساعة يارب .. لا يوجد .. اغلق الباب . لماذا اذا لا تشكر الله على الحياة التى لك ؟ .. وعلى هذه الساعات التى مازالت لك فى العمر وتستطيع أن تعمل فيها الكثير ، وتضمن ملكوت السموات ، وتتوب وتحيا حياة روحية ؟ .. ألا تشكر الله الا اذا نزل لك كنز من السماء ..؟! وما أدراك — ربما اذا نزل لك كنز من السماء يكون سببا فى هلاكك وتفقد الملكوت بسببه .

٦ — أشكره لانه يهيىء لك الحياة فى بيئة مسيحية :

هناك أشياء كثيرة تستحق الشكر ، لا نشكر الله عليها . من منكم يشكر الله لانه موجود الان فى الكنيسة ؟ كثير من الشبان فى هذه اللحظة فى أماكن اللهو المختلفة وفى خطايا كثيرة ، وأنتم موجودون فى الكنيسة . فمن منكم يشكر الله ؟ لمجرد وجوده حتى لو كان لا يفهم الكلام أو لا ينسجم منه .. أشكر الله على هذا . من منا يشكر الله لانه أوجد له بيئة مسيحية صالحة من أبوين مباركين لم يمنعاه عن طريق الرب ؟ وهيأ له بيئة مسيحية من خدام فى الكنيسة يعتنون به حتى وصل الى هذا الوضع من المعرفة الروحية والسلوك الروحى ؟ .. توجد أشياء كثيرة تستلزم الشكر ونحن لا نشكر عليها .

٧ ــ اشكره لانه يرعى كل أمور حياتك :

يوجد أيضا عنصر آخر هو احسنات الله اليك .. الاحسانات الشخصية فى حياتك عموما وفى حياة أحبائك . كم مرة طلبت من الله طلبا واستجاب ؟ فى ضيقات انقذك منها ، فى امتحانات أنجحك فيها ، فى مشاكل وفى قضايا كانت نتيجتها فى صالحك ، فى أمراض شفاك منها ، فى ضيقات أنقذك منها ، فى خطايا لم تكشف أمام الناس .. أريد أن أذكر كم بمثل بسيط .. فى سنة ١٩٤٧ كان مرض الكوليرا منتشرا وكان يحصد بالالاف . وأغلقت كثير من المدن خوفا من نقل العدوى وكان الرعب حالا فى البلاد .. دخلت مرة احدى هذه المدن المغلقة بتصريح بعد التطعيم ضد الكوليرا طبعا ، ولم أسمع أحدا يضحك ، ولا يبتسم ، ولم يكن يسمع صوت راديو ولا أغانى .. وكانت المدينة حزينة مكتئبة . وكثيرون صلوا وقالوا « يارب لو انقذتنى من الكوليرا سأبقى مثل مارجرجس ، مثل الملاك ميخائيل ، مثل الانبا انطونيوس أب الاباء » .. وانقذنا الله من الكوليرا وعشنا الى الان ، من منا يشكر الله لانه نجا من الكوليرا ؟ راحت ونسيت وضاعت .. ومن هذا كثير .

نحن ننسى احسانات الله ــ وعندما ننساها يقل شكرنا وأيضا تقل محبتنا . لانك اذا تذكرت جميل أحد عليك ،

تحبه . وعندما تنسى هذا الجميل تفقد المحبـــة . لذلك من التداريب الجميـــلة أن يجلس الانسان الى نفســـه وبعد احسانات الله اليـــه .. خذ ورقة طـــويلة واجلس أكتب احسانات الله اليك منذ ولادتك الى الان ، واحسانائه الى أحبائك ، وعدد الصـــلوات التى استجيبت فى حيـــاتك ، والخيرات التى أتتـــك بدون صلوات ـــ من الله رأسا .. عدها كلها ثم قف واشكر الله على كل أمر واحد فواحد .

٨ ـــ اشكره من أجل الفداء العظيم :

يوجد أمر أعظم من هذا كله بكثير ولا يقاس الى جـــواره آخر ويحتاج الى شكر ، الليل والنهار .. وهو الخـــلاص العظيم الذى قدم الينـــا على الصليب .. من منـــا يشكر المسيح لانه صلب من أجلنا ..؟ لانه تجسد من أجلنا وسكب دمه من أجلنا ..؟ ان حكم الموت الذى وقع على البشرية ، ما كان ممكنا لاحد أن يخلص منه بدون تجســـد الابن وبدون صلبه وموته .. فالانسان أخطأ الى الله .. وكانت الخطية غير محدودة لانها موجهة ضد اله غير محدود ، وعقوبتها غير محدودة . ان قدمت من أجلها كفارة ، فلابد أن تكون كفارة غير محدودة . ولا يوجد غير محدود الا الله .. فكان لابد أن يتجسد الله وان يموت عنا ـــ والله دفع هذا الثمن ..! لو فرضنا أن الله لم يدفع هذا الثمن ، فماذا تكون النتيجـــة ؟ كلنا الى الهلاك الابدى . ولكن المسيح أنقذنا جميعا . من

منا كل يوم وكل ليلة يذكر صليب المسيح ويشكره لانه دفع لثمن نيابة عنا؟ بدون هذا الثمن ماكان ممكنا أن تنفع الاعمال الصالحة ولا التوبة ولا أى شىء .. الله فيما نحن خطاة ، فيما نحن محكوم علينا بالموت ، مات المسيح من أجلنا ونحن فجار . أعطانا خلاصا لا نستحقه ولم نبـذل فيه جهدا .. خلاصا مجانيا على الصليب « متبررين مجانا بالنعمة .. » من منا يشكر المسيح على هذا ؟ لقد وضعت لنا الكنيسة أن نذكر هذا الامر فى مناسبات عديدة حتى لا ننساه .. فى كل سنة تقيم لنا أسبوع الالام ، أسبوع البصخة ويوم الجمعة العظيمة بذكرياته الجميلة المؤثرة حتى لا ننسى الصليب . فهل يكفى هذا التذكار السنوى ؟ لا يكفى ، لاننا ننسى .. ماذا تعمل الكنيسة ؟ جعلت كل يوم جمعة فى الاسبوع صوما لنتذكر فيه صليب المسيح لئلا ننسى .. فهل يكفى هذا التذكار الاسبوعى ؟ لا يكفى أيضا . جعلت لنا الكنيسة صلاة الساعة السادسة من كل نهار وفيها نقول « يا من فى اليوم السادس وفى الساعة السادسة سمرت على الصليب من أجل الخطية .. الخ » لابد أن نتذكـر هذا الصليب كل يوم لكى نمتلىء بحياة الشكر ، وفى كل يوم نشكر الله لانه أعطانا خلاصا هذا مقداره .. والا نكون غير شاعرين بهذا الخير ولم نفهمـه ..

٩ ــ اشكره من أجل عطيتــه السماوية :

من منا يشـــكر الله لانه أعطانا هذا الكتـــاب المقدس ؟ اليست هذه نعمة تستحق الشكر ..!! العالم عاش فى ظلمة الوثنية زمنا طويلا لم توجد فيه كلمة خلاص واحدة ــ والله ارسل لنا الانبياء وأرسل لنا الرسل وعلمونا وأفهمونا وتركوا لنا هذه الذخيرة العظيمة .. فى صـــلاة القداس الغريغورى يقول الكاهن «أعطيتنى علم معرفتك .» ويقول أيضا «أرسلت لى الناموس عونا .. » نحن نشكر الله من أجل أنبيائه ومن أجل رسله ومن أجل كتابه المقدس ومن أجل هذا التعليم . لو عاش الانسان حياة الشكر ، يشكر الله على كل شىء .

١٠ ــ وأخيرا شكر بلا حدود ..

فانا لا أستطيع مطلقا أن أحصى احسانات الله .. أو أن أحصرها ، أو أن أعطيك قائمة بها . انما ذكرت فقط بعض الامور الجوهرية التى تنير لنا السبيل . أما أنت لو عشت حياة الشكر ، تستطيع أن تشكر الله عن كل نفس تتنفسه ، على كل خطوة تخطـــوها ، على التوبة ، على قيـــامك من سقطتك ، على جميع مواهبه لـــك ، على روحه القدوس الذى يعمل فيك ، على نعمته التى تفتقدك كلما تسقط وكلما تخطىء ، وتفتقدك فى حالة قوتك لكى تزيدك قوة وتنميك .. تشكر الله على كل حال ومن أجل كل حال .

حياة الشكر تستلزم الاتضاع

ولكى تشكر جيدا تحتاج فى حياة الشكر الى الاتضـــاع والانسحاق . فالشخص المتضع يشعر انه لا يستحق شيئا .. لذلك هو يشكر على كل شىء . لو اعتبرت أنك تستحق اشياء كثيرة ، لاوصلك هذا الى حياة التـذمر والضجر .. لماذا ؟ من أجل الكبرياء وليس من أجل الضيقات الخارجية.! الانسان فى كبريائه يشعر أنه يستحق أشياء كثيرة ، يستحق حياة أفضل ، فيتذمر على ما هو فيه .. لو كان متضعا ، لشعر أنه لا يستحق شيئا ، فكل ما يعطى له من الله مهما كان قليلا يشكر عليـــه ، لانه لا يستحقه . الرجل الفقـــير الذى تعطيه قرشا يشكرك عليه لانه شاعر انه لا يستحق . ليس له عليك شىء .. فكل ما تعطى له ـــ حتى كسرة خبز ـــ يشكرك عليها .. فلو كان ذلك هذا الشعور ـــ تقول يارب ليس لى عليك شىء ولا أطالبك بشىء ـــ كل شىء من عندك حسن . القليل حسن لانى لا أستحقه ، والكثير حسن لانى لا أستحق حتى القليل . فتعيش فى شكر دائم .

يقول القديس مار اسحق عبارة خطـــيرة .. « الشخص الذى لا يشكر على القليل كاذب هو ان قال انه يشكر على الكثير . الذى لا يشكر على الدرهم ، لا يستطيع ان يشكر

على الالف دينار » . الشكر عنده غير موجود .. الذى لا يملك الشكر فى طبيعته ، يتذمر لو أعطيته ألف دينار ، ويقول غيرى عنده مليون دينار . تقول له أنت أصبحت وزيرا ، يقول ولماذا لا أصير رئيس وزراء ..! لا يوجد شكر بالمرة . من الذى يشكر ؟ .. الشخص المتضع الذى يشعر انه لا يستحق شيئا على الاطلاق . فكل ما يعطى له من الله يشكر عليه . والمتضع لا يشعر فقط أنه لا يستحق شيئا من الخير — بل أكثر من هذا يشعر أنه يستحق عقوبات كثيرة وتأديبات عنيفة .. ولو أعطيت له جميع البلايا يشكر، ويقول انا استحق بلايا اكثر من هذه لانى انسان خاطىء . انها لرأفة عظيمة من الله أن يعطينى هذه فقط .. مثال لذلك أن مجرما ارتكب جرائم مرعبة ، وحكم عليه القاضى بالاشغال الشاقة المؤبدة ، فصرخ فى المحكمة وقال له أشكرك .. ! لماذا ؟ « لانى استحق الاعدام ! يا لك من قاض رحيم وحنون .. ان هذا المجرم شاعر بخطيئته ، ويعرف أن جريمته تستحق الاعدام . انه يذهب الى المحامى أيضا ويشد على يده فى حرارة ، ويقول له « أشكرك ياأستاذ على المجهود الكبير الذى بذلته من أجلى ، وجعلتنى اصل الى الاشغال الشاقة المؤبدة .. كانت رأسى فى المشنقة وأنت أنقذتنى ..! » هكذا يكون الانسان المتضع : كلما

تأتيه بلية ، يقول أشكرك يارب . أشكرك لانك حنون جدا وتعطيني عقوبات خفيفة للغاية .. بالشفقتك العجيبة ..! حقا يارب ، ان يدك على لا عصاك .

قد تعترض وتقـــول : نفرض أن الله أعطى له ضـــيقة لا تحتمل ، مرضا من الامراض المؤلمة التى لا تحتمل ، فكيف يشكر الله ولا توجد ضيقة أعظـــم من هذه ؟ انـــه يجيب « لا ــ هناك توجد البحيرة المتقدة بالنار والكبريت . فان كنت آخذ عذابات على الارض لاتحتمل، فهذا أفضل من العذاب الابدي الذى لا يحتمل » .. فالانسان المتضع هو الانسان الشـــاكر .

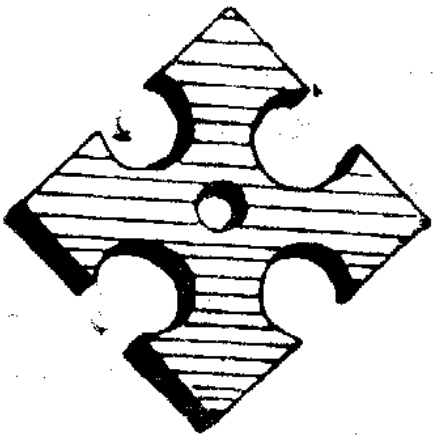

خاتمـــة

ان حياة الشـــكر تحتاج اذن الى ايمـــان بالله . والى الغرض الواحد ، أعنى ألا يكون للانسـان هدف سوى محبة الله فقط والالتصاق به ، لذلك لا يهتم بأى شيء آخـــر بل يشكر على كل شيء . وحيـــاة الشكر تحتاج الى ذاكـــرة لا تنسى احسانات الله ، وتحتاج الى اتضاع والى محبة . لو كانت بينك وبين اللـــه محبة ، تشـــكره على كل شيء ، تشـــعر أن كل شيء هو من يده المـــلوءة حنانا ومن قلبـــه الملوء محبة .. فتبقى ســـعيدا به . حياة الشكر تصـــل بالانسان الى حياة السلام والفـــرح ، ولا شيء ينزع فرحه منـــه .

ولله المجد دائمـــا أبديا آمين ..

بسم الآب والإبن والروح
القدس الإله الواحد آمين

نقرأ في هذا الكتاب عن حياة الشكر، ودرجات الشكر: من الشكر على القليل، إلى الشكر على الضيقة إلى الشكر كل حين.

ونقرأ عن أسباب ومجالات الشكر، وعن الفضائل المصاحبة للشكر، كالاتضاع والإيمان، والصبر، والتسليم...

كما نقرأ عن الأسباب التي تمنع الشكر، وهي كثيرة...

يكمل هذا الكتاب، كتاب آخر عن تأملات في صلاة الشكر، سننشره قريباً إن شاء الله مع تأملاتنا في المزمور الخمسين.

شنوده الثالث

الثمن ٩٠ قرشاً